الفصل الثاني

بروتوكولات حكماء سان فرانسيسكو:

التسخير السياسي للخوف من ذوي الميول الجنسية المثلية

♦

في صبيحة يوم الأحد، وقبل ثلاثة أسابيع من موعد انتخابات عام 2004، أزيح الستار أرجواني اللون عن خشبة المسرح التابع لكنيسة وورلد هارفست الواقعة في مدينة كولومبس بولاية أوهايو، التي تضم 12 ألف عضو، وظهرت جوقة المنشدين على منصة ترتفع عدة أدوار عن الأرض، وكانت تلبس زياً موحداً هو عباءة تجمع بين اللونين الأرجواني والأبيض. وأسفل منهم، وقف صف من منشدي الترانيم الإنجيلية ببدلات سود، وكانوا يؤدون الصلوات مصحوبة بألحان موسيقى الروك. وأسدلت من خلفهم ستارة سوداء فيها ثقوب صغيرة يخرج منها الضوء، وبدت وكأنها سماء مرصعة بالنجوم. وتراشقت أضواء المصابيح الكهربائية الملونة فوق رؤوس المطربين، في حين أظهرت شاشتان كبيرتان لقطات مقربة لآلاف الوجوه المترقبة من الحضور، أعضاء الكنيسة العملاقة، الذين كانوا على وشك سماع أن يسوع يريد منهم إنقاذ الزواج من القوى الجهنمية للشواذ جنسياً في الثاني من نوفمبر.

وظهرت الكلمات التي تغنيها الفرقة على الشاشات التي تعلو المسرح؛ كي يشارك الجمهور في ترديدها مع الفرقة:

أنت إله قوي

أنت إله قوي

إله قوي إله قوي

أنت إله قوي

وكانت أنغام العزف على البيانو والقيثارة الكهربائية تصدح في الأجواء. وكانت نشوة الغناء والطرب تنبعث من صفوف مقاعد الكنيسة صفاً تلو صف، وكان الناس يتمايلون، وأيديهم مرفوعة إلى السماء، أو متحلقين في حلقات صغيرة. وكانوا يرددون مقاطع الأنشودة مرة تلو أخرى، وأحياناً مع بعض التعديل على الكلمات: «أنت إله عظيم، أنت إله مقدس». وانتهت الأغنية بالتصفيق والتشجيع من الحضور الذين تزايدت أعدادهم بتوافد المتأخرين إلى قاعة الكنيسة التي تشابه مدرج المسرح.

واعتلى خشبة المسرح رجل ذو شعر فضي مُسرَّح إلى الخلف لتقديم القس رود بارسلي - وبارسلي هذا واعظ إنجيلي تلفزيوني، مشهور برقته للمرضى، وقد تمكن من وضع نفسه في مراتب قادة الجيل القادم في اليمين الإنجيلي كما فعل ريك سكاربورو - وبعد أن وصف القس بارسلي (بالرسول) و(الحكيم الرباني) قال المقدم: «غداً، يكون بارسلي قد أمضى 18 عاماً في نعيم الزواج. إنه لا يكتفي بالدعوة إلى الزواج، بل يعيشه حقيقة: الزواج بين رجل واحد وامرأة واحدة». فارتفع هتاف الجمهور بالاستحسان والتأييد.

ثم تقدم بارسلي - وهو رجل أبيض عريض المنكبين، أسود الشعر، ضيّق العينين، كبير الشفتين - إلى خشبة المسرح. وأبرز ما جاء في كلمته قوله: «لم تكن الأمة في يوم الأيام أكثر انقساماً على نفسها من هذا الوقت، ولم تكن الخيارات أوضح مما هي عليه الآن... والكل يسأل: لم هذا التقارب الشديد في النتائج الانتخابية؟ إن النور يزداد نوراً، وتزداد الظلمة ظلاماً. وهذان المتنافسان (يعني بوش وكيري) ليسا مجرد متنافسين من حزبين مختلفين، إنها منافسة بين النور والظلمات!».

وكان لدى بارسلي المزيد ليقوله عن الزواج، ولكنه أرجأ ذلك إلى أن يتهيأ الجمهور ويصبح أكثر استرخاءً واستعداداً بتأثير الموسيقي والحركة. وطلب بارسلي من الجمهور أن يلتفت كل واحد منهم إلى الشخص الذي بجانبه، ويرفع يده عالياً، ويصفق بيد زميله قائلاً: سنتحول إلى الأفضل! واستجاب الجمهور لطلبه بكل سرور. ومع ارتفاع وتيرة الموسيقى، طلب بارسلي من الجمهور أن يزيدوا

من حدّة الرقص قائلاً: «أنتم بحاجة إلى التخلي عن أنفسكم! لا تدعوا هذه المقاعد تفصل بينكم!».

وبدأ الناس فور سماعهم كلماته بالرقص في الممرات بين المقاعد.

ثم دعا بارسلي الذين يشعرون بالصداع إلى التقدم أمام خشبة المسرح. ولما توقف عدد من الناس لمشاهدتهم، صاح بهم بارسلي: «لا تتوقفوا عن عبادته، لا تتوقفوا عن عبادته! لا تتحولوا إلى متفرجين!». وبينما استمر آلاف الحضور بالرقص، توجه بارسلي باتجاه الذين اصطفوا تجاهه من الذين يشكون الصداع، وبدأ يضع يده على جباههم قائلاً: «بحق وجود (الرب) بيننا أطرد هذا الصداع، بحق وجود (الرب) بيننا أطرد هذا الصداع. بحق يسوع أطرده. اخرج، اخرج، باسم يسوع. باسم يسوع، ليذهب عنك هذا».

وواصلت جوقة المغنين غناءها، وتابع بارسلي مواعظه وصلواته، واضعاً يده على رؤوس المرضى من رعاياه، ثم أخذ يهذي في أثناء ذلك بكلام غير مفهوم «وهو ما يُعدُّ دليلاً على تأييد (الروح القدس) له» وسقط بعض الناس مغشياً عليهم، ولكن مرشدي الكنيسة الذين يقفون خلفهم كانوا يمسكونهم، ويحولون دون وقوعهم على الأرض. ووقفت امرأة في الممر واضعة يديها فوق رأسها وهي تتنهد وتنظر إلى الأعلى ولها نشيج.

وبعد مرور ساعة ونصف تقريباً على تلك الحال، شرع بارسلي يلقي موعظته في حشد منهوك القوى، مغمور بالنشوة، جاهز للاستماع. وقال بارسلي للحضور: إن المسيحية تتعرض للهجوم والحصار. وإن (أشخاصاً متطفلين) جاؤوا من الخارج إلى أوهايو، «وإنهم يطرقون الباب تلو الباب؛ كي يستمر قتل الأطفال (إشارة إلى الإجهاض) وتجريد الكنيسة مزيداً من حقوقها الدستورية، عن طريق تشريعات جرائم الكراهية». وقال للحضور: إن زواج المثليين منذر «بإفناء الحضارة».

وبدأ بارسلي يتصبب عرقاً. ثم قال هذه العبارة التي صاحبها عزف مرتعش لآلة الأرغن: «في الثاني من نوفمبر، أرى أناساً يتقدمون كجيش مقدس إلى مراكز

الاقتراع. وأرى الروح القدس يباركـكم وأنتم تصـوتون للحياة، وأنتم تصوتون للزواج، وأنت تصوتون لمنبر الكنيسة!».

♦

وبعد ثلاثة أسابيع ونصف - أي في الثالث من نوفمبر - تجمع رهط أو أكثر من متطوعي منظمة تآلف الأمريكيين، التي يقال لها اختصاراً: (ACT)، وهؤلاء هم الذين وصفهم بارسلي في موعظته (بالمتطفلين) الذين جاؤوا إلى أوهايو لحفز التقدميين على التصويت، وقفوا مذهولين قبالة شاشة التلفاز في مقرهم الذي بات فجأة خالياً من الناس. وفي ناحية من نواحي المكان انزوت فتاة شقراء وأخذت تدمع بهدوء. فقد فاز بوش. وكما حصل أيضاً، فازت الاستفتاءات المعارضة لزواج المثليين التي تحظر أشكالاً أخرى من علاقات الشراكة وغيرها من صور الاعتراف القانوني بارتباط الشواذ جنسياً. وحصلت استفتاءات مشابهة على تأييد كاسح في الولايات الإحدى عشرة التي طرحت فيها هذه الاستفتاءات للتصويت عليها. وتعززت قبضة اليمين المتشدد في مجلسي النواب والشيوخ من الكونغرس. وكان ذلك كارثة على الديمقراطيين لم تكن في حسبانهم.

كان الانطباع العام لدى المتطوعين الديمقراطيين طيلة معظم شهر أكتوبر انطباعاً متفائلاً ومفعماً بالحيوية. واستطاعت منظمة آكت أن تنظم واحدة من أكبر حملات الخروج إلى التصويت، وأقواها تمويلاً في تاريخ السياسة الأمريكية، مجنِّدةً آلاف العاملين والمتطوعين المتحمسين لحفز الناخبين على التوجه إلى صناديق الاقتراع، والتصويت في الولايات ذات الأصوات الترجيحية. وبدا وكأنهم أنصار آكت منتشرون في كل مكان من شوارع الأحياء السكنية في أوهايو، إلى جانب المتطوعين في حملة كيري، وأعضاء النقابات العمالية. ولم يكن للجمهوريين حضور بارز مماثل.

وكتب مات باي في مجلة نيويورك تايمز يصف الحدث كما عاينه ستيف بوشارد المدير التنفيذي لمنظمة آكت، وزميله توم ليندينفيلد، يقول: «إن ما أدهش بوشارد هو أننا لما ذهبنا إلى محافظة فرانكلين، وهي محافظة شهدت منافسة شديدة بين

الحزبين نظراً لوزنها الترجيحي، لم نشاهد أي لافتة، أو مؤيدين لجورج بوش يطرقون الأبواب، أو يوزعون منشورات الدعاية الانتخابية في مراكز الاقتراع، وهو ما زاد من ثقة ليندينفيلد ... أما بوشارد فقد كان الهدوء أمراً مريباً في نظره. إذ كيف يمكن أن يكون هناك حملة سرية لحفز الناخبين على التصويت؟».

لم تكن الحملة سرية. بل كانت تحدث في الكنائس، وبخاصة الكنائس العملاقة منها، وفي المحافل القومية الدينية حيث يجتمع ملايين الأمريكيين كل أسبوع لسماع المواعظ البهيجة التي تخلط بين المسيحية الإنجيلية والمساعدة الذاتية، والسياسات اليمينية. لقد كانت ألوية بوش مختبئة أمام العيون في وضح النهار في ثقافة موازية، تسود أمريكة أخرى غير التي نعرفها، مخفية عن عيون كثير من الناس الذين يعيشون في المناطق الساحلية، وأمريكة هذه مضطرمة من الخطر القادم من زواج ذوي الميول الجنسية المثلية الذي لا يمكن تحمله.

وكان يوم الثاني من نوفمبر هو البداية فقط. ففي الأشهر التي أعقبته، حاول المشرعون في الولايات تجريد الشواذ من حزمة من أنواع الحماية القانونية القائمة، ومن ضمنها حق المشاركة في التأمين الصحي، وحق تبني الأطفال، وحق الحضانة. وقدم أحد أعضاء المجلس التشريعي في ولاية آلاباما مشروع قانون يحظر على مكتبات المدارس شراء كتب لمؤلفين من الشواذ جنسياً، أو كتب تتضمن شخصيات شاذة. وقال عضو الكونغرس: إن هذا المشروع يعد خطوة ضرورية لحماية أطفال آلاباما من «أجندة الشواذ جنسياً»[42]، وصوّت مفوضو مقاطعة رهيا في ولاية تينسي - وهي المقاطعة التي اشتهرت بكونها المكان الذي وقعت فيه محاكمة سكوبس - بالموافقة على توصية تحث كونغرس الولاية على تجريم العلاقات الجنسية المثلية. وقال المفوض جي سي فيوغيت: «إننا بحاجة إلى إبقائهم (أي الشواذ) بعيداً عن هذا المكان»، واستفسر فيوغيت من مدعي عام المحافظة عن كيفية حظر الشواذ جنسياً من الإقامة في المحافظة حظراً باتاً[43]. (وقد تراجع المفوضون بعد ذلك عن موقفهم هذا، عقب احتجاج صدر على المستوى الوطني).

أصبحت قضية محاربة (الشذوذ الجنسي) عاملاً محفزاً لليمين المسيحي. وتحتاج الحركات الشعبية دائماً إلى عدو، ومن أسباب قوة القوميين المسيحيين أنهم تصالحوا مع عدد كبير من الأعداء القدامى، وبخاصة أتباع المذهب الكاثوليكي، والأمريكيين من أصل أفريقي. فحل الشواذ جنسياً محل الأشرار القدماء.

وفي نظر اليمين، يُعدّ الشواذ جنسياً دليلاً حياً على الفساد والانحلال. وينظر إليهم بوصفهم مقززين ومغوين، وأن مجرد وجودهم يثير في نفوس الأمريكان الأسوياء شعوراً عميقاً بالخوف. وأسقط اليمين معظم المخاوف التي تهدد البلاد – الخوف من التفكك الاجتماعي، وانهيار الأسرة، والتفسخ الاجتماعي، والتقهقر – من الشواذ جنسياً و«أجندتهم» البارزة. وبدأت الكتب وأشرطة الفيديو برصد مؤامرة الشواذ جنسياً للسيطرة والاستيلاء على المدارس الأمريكية وعلى الأطفال الأمريكيين، والكنائس، والحكومة وكشف هذه المؤامرة. ففي كتاب: (أجندة الشواذ جنسياً)، الذي صدر عام 2003، وتم الترويج له على نطاق واسع، يتحدث المؤلفان كريغ أوستن وآلين سيرز (رئيس صندوق اتحاد الدفاع؛ وهذه المنظمة هي الذراع القانونية للحركة القومية المسيحية) بإسهاب عن مؤامرة على المستوى الوطني تحدث تحت غطاء النضال من أجل الحقوق المدنية، وتهدف إلى اختلاس لب الأطفال وإسكات الكنسية. وجاء في الكتاب ما نصه: «لقد أفضت الجهود السرية التي يتولاها عدد كبير من الأشخاص إلى إيقاع الفتية والفتيات في الممارسات الجنسية الشاذة. ويتحرك كثير من هؤلاء المغرضين بدوافع بسيطة ووضيعة لا علاقة لها بالأجندة السياسية»، وأضاف المؤلفان: «ذلك أن المجندين الجدد يوفرون لهؤلاء (لحماً طازجاً)، ومصادر جديدة للتمويل، وشركاء جدداً للجنس، وفوائد جديدة»[44].

لقد كان مثل هذا النوع من التشنيع يعد نذيراً بحدوث فظائع لاحقة. وثمة تشابه حتمي بين خطاب النقاء الثقافي الذي ساد ألمانية في الثلاثينيات، وبين ما نشهده في أمريكة اليوم. وكان أول ما فعله النازيون لدى وصولهم إلى الحكم هو مطاردة الشواذ جنسياً في جزء من حملة عريضة لفرض القيم الأسرية في البلاد. وكما يصوّر ريتشارد جي إيفانز في كتابه: (قدوم الرايخ الثالث) بقوله: «تحرك النازيون بمباركة

المحافظين والكنيسة الكاثوليكية لتدمير كل فرع من فروع الجمعيات والمؤسسات المتصلة بجماعات الضغط والتأثير التي كانت قائمة في ظل نظام حكم وايمار؛ التي كانت ناشطة في قضايا المطالبة بالحرية الجنسية، وإصلاح القوانين المتصلة بالإجهاض، وإلغاء القوانين التي تجعل من الشذوذ الجنسي جريمة، وتوفير الوسائل والإرشادات الخاصة بمنع الحمل. وشمل القمع كذلك أي شيء آخر اعتقد النازيون أنه يسهم في التراجع المستمر في معدلات مواليد الألمانيين»[45].

ليست النزعة المحافظة الاجتماعية في ذاتها نزعة فاشية بالطبع. بيد أن الربط بين القمع، والشعبية، والرهاب، والخوف من الانحلال - بوصف كل ذلك مؤامرة كبيرة ضد الأمة - يحمل في طياته أصداءً مروعة. لقد رأى النازيون في حركات التحرر الجنسي جزءاً من مؤامرة يهودية لتدمير الأسرة الألمانية، ومن ثم تدمير ألمانية برمتها. واليوم يعزو اليمين مؤامرات مشابهة إلى الشواذ. وفي مقدمة كتابهما، كتب سيرز وأوستن، «سنعرض الخطوط العريضة لارتباط أجندة الشواذ جنسياً بكل جوانب الحياة، من الإعلام، إلى التعليم، إلى الأسرة، إلى الشركات الأمريكية الكبرى، وإلى الحكومة (هكذا في الأصل). وسنوثق الهجوم الذي يشنّه أنصار الشذوذ الجنسي على الحرية الدينية لكل الأمريكيين»[46]. وتمثل أجندة الشذوذ الجنسي في نظر القوميين المسيحيين خرافة تضاهي خرافة بروتوكولات حكماء صهيون في نظر الأجيال الأولى من الاستبداديين.

وكما ينكر معادو السامية حدوث المحرقة النازية، فإن بعض المسيحيين القوميين يجادلون بأن قصص اضطهاد الشواذ جنسياً على يد النازيين ما هي إلا محض أكاذيب اختلقت لتعزيز أجندة الشذوذ الجنسي، ولإسكات معارضيها. بل وذهب سكوت لايفلي وكيفين إبرامز في قراءتهما التصحيحية للتاريخ، المتضمنة في كتاب لهما بعنوان: (الصليب المعقوف ذي اللون الزهري)، إلى درجة الادعاء بأن النازية كانت أساساً حركة للشذوذ الجنسي، وأن الادعاء بما يخالف ذلك هو ببساطة مؤامرة من الشواذ جنسياً. ولأن الذين يقفون خلف أجندة الشذوذ الجنسي ليس لديهم رحمة ولا شفقة، فإنه يجب التعامل مع هذه الأجندة بلا رحمة ولا شفقة.

ويضيف لايفلي وإبرامز القول: إن «شواذ هذا العصر كأسلافهم النازيين؛ يفتقرون إلى أي مبدأ ... إن الشذوذ الجنسي هو إدمانٌ وحشيٌّ ضارٍ، يسعى إلى الانقضاض على الضعفاء والأبرياء، وأخذهم إلى الهاوية معهم. إن أجندة الشواذ خدعة كبيرة، وسلب كاسح للعقل. إن الشواذ من نوع الذين وصفوا في هذا الكتاب ليس لديهم أدنى فكرة عن كيفية التصرف بما يخدم مصلحة بلدهم وأبناء جلدتهم. ولا يفكرون إلا بأنفسهم»[47].

لا يمكن عدُّ لايفلي وأبرامز مجنونين معزولين؛ فاعتقادهما بأن الشواذ جنسياً هم الذين ارتكبوا المحرقة النازية - بدلاً من القول: إنهم كانوا من ضحاياها - هو اعتقاد شائع بين القوميين المسيحيين. ومن بين الذين أثنوا على كتاب الصليب المعقوف ذي اللون الزهري؛ ستيف بالدوين الذي يشغل منصب المدير التنفيذي لمجلس السياسية القومية، وهذا المجلس من المنظمات القوية التابعة للجناح اليميني المحافظ في أمريكة. ويعمل لايفي - الذي يرأس المركز القانوني الداعم للأسرة في مدينة ساكرمنتو بولاية كاليفورنيا - بصفة مدير فرع جمعية دونالد ويلدمونتز للأسرة الأمريكية في ولاية كاليفورنيا. وحل غير مرة ضيفاً في برنامج دوبسون الإذاعي، ونادي السبع مئة، وغيرها من البرامج الإعلامية. ويكثر الاستشهاد بكتاباته بخصوص (أجندة الشواذ جنسياً).

وتتكرر هذه الدعاية التي يروج لها هؤلاء الأشخاص بلا نهاية في الكنائس، وفي البرامج الإذاعية والتلفزيونية التابعة لليمين المحافظ، وفي المسيرات، وعلى ألسنة الساسة. وهذا يفسر كيف قرر ملايين الأمريكيين - في وقت الحرب وحالة الشك والريبة التي تحيط باقتصاد البلاد - أنه لم يكن هناك قضية طارئة تواجه الأمة أولى من عدم السماح للشواذ جنسياً بالزواج القانوني فيما بينهم».

♦

إن الدور الذي أدته قضية زواج الشواذ في انتخابات عام 2004 ـ ومازالت تؤديه في السياسات الأمريكية ـ هو دور ما زال مشوشاً بسبب المبالغة الخطابية المتنافسة. وفي

الأيام التي أعقبت اليوم الثاني من نوفمبر، كان الانطباع بأن الانتخابات كانت نصراً مؤزراً لأنصار ثقافة اليمين المحافظ الذين لم يتوانوا للحظة واحدة عن الإعلان عن أنهم الآن باتوا يملكون تفويضاً شعبياً لتطبيق برامجهم. وفي الثالث من نوفمبر كتب ويليام بنيت ـ المدير السابق لمكتب مكافحة المخدرات في عهد رونالد ريغان، والمشهور بالتظاهر بالاستقامة السياسية، وبإدمانه لعب القمار ـ في مجلة ناشونال ريفيو أونلاين: «بعد أن أعاد الرئيس بوش إلى البيت الأبيض مهابته، فإنه الآن يملك تفويضاً من الشعب الأمريكي لوضع سياسة تعمل على تحقيق مجتمع أكثر احتشاماً عن طريق وضع السياسات والقوانين ... ولا تقل أهمية التعيينات القضائية الفدرالية عن أهمية تلك التشريعات والقوانين».

ويشير فرسان الحرب الثقافية إلى نتائج استطلاعات الرأي للمقترعين التي كثر الاستشهاد بها في الآونة الأخيرة والتي تقول: إن 22 % من المقترعين يرون أن «القيم الأخلاقية» هي همهم الأكبر. وهي نسبة تتجاوز نسبة الذين قالوا: إن العراق (15 %) أو الاقتصاد وسوق العمل (20 %) هي القضايا التي تتصدر أولوياتهم. واختار 80 % من المقترعين الذين قالوا: إن «القيم الأخلاقية» هي الأهم في نظرهم، جورج بوش للرئاسة. (وعبارة «القيم الأخلاقية» طبعاً هي كناية عن معارضة زواج الشواذ وحقوق الإجهاض).

وبطريقة ما، تمَّ تضخيم أهمية نتائج هذا الاستطلاع. نعم، لقد أشارت أعداد كبيرة من المقترعين (إلى القيم الأخلاقية) أكثر من أي قضية أخرى مطروحة على التصويت، إلا أن ذلك مرده إلى الأسلوب الذي صيغت به الأسئلة. فقد ذكر 19 % ممن استطلعت آراؤهم أن أهم قضية في الانتخابات هي الإرهاب، أضف هذه النسبة إلى الذين قالوا: إن قضية العراق هي الأهم، فإنك ستجد أن 34 % من المقترعين يرون أن اختيارهم في التصويت كان مبنياً على أساس من السياسة الخارجية.

لم تكن أصوات الناخبين الإنجيليين – بالمقارنة مع مجموع الناخبين في البلاد – هذه المرة أكثر مما كانت عليه عام 2000. ومع ذلك، كان الإنجيليون هم الفئة الأكثر

نشاطاً وتماسكاً في الحملة الانتخابية، متخطين بذلك الجهود غير المسبوقة التي حشدها التقدميون لحفز الناخبين لمصلحة جون كيري. وكما أشار مارفين أولاسكي في مجلة وورلد التابعة للإنجيليين: «لقد فاز الرئيس بوش؛ لأن القضايا الأخلاقية كانت هي الأكثر أهمية في نظر خُمُس المقترعين، وقد فاز الرئيس بذلك الخمس بغالبية 4 إلى 1. وبعبارة أخرى، حصل السيناتور كيري على 56 % من أصوات الأشخاص الذين كان جل اهتمامهم السياسة الخارجية أو القضايا الاقتصادية، وهي القضايا التقليدية في الانتخابات الرئاسية»(48).

ومع أن انتخابات عام 2004 لم تحسم على جبهة الحرب الثقافية وحدها، إلا أنها تكشف لنا عن الحجم المتنامي لحركة القوميين المسيحيين، وقوتهم التي شهدت تزايداً مطرداً في البلاد على مر السنوات الماضية. وتشكل كوادر اليمين المتدين عساكر الحزب الجمهوري، فهم الذين يجمعون القوائم وينظمون جيرانهم ومعارفهم ويحفزونهم للتصويت. وليس كل الذين صوتوا للحزب الجمهوري يعتقدون أن زواج الشواذ ينذر بهلاك الأمة، إلا أن الذين يعتقدون ذلك كانوا عاملاً جوهرياً في فوز بوش، وهم الآن يوجّهون السياسة الاجتماعية في أمريكة.

آلات الكنائس العملاقة:

لم تظهر قوة التأثير الثقافي لليمين المحافظ في أي مكان في البلاد مثلما ظهرت في ولاية أوهايو التي كان لها الوزن المرجح والحاسم في الانتخابات الرئاسية الأخيرة.

علماً بأن ولاية بوش الأولى لم تأتِ بخير على ولاية أوهايو. إذ فقدت الولاية بين عامي 2000 و 2004 ربع مليون وظيفة، لتحتل المرتبة الثانية في المعدلات القياسية لفقدان الوظائف في البلاد. وتحولت مدينة كليفلاند تحت حكم بوش إلى أفقر مدينة كبيرة في أمريكة بحسب تقرير وكالة الإحصاءات الأمريكية. وبدأ الشباب يتركون الولاية زرافات ووحداناً. وكتب برنت لاركن مدير تحرير مجلة كليفلاند بلين ديلر في أغسطس من عام 2004، نادباً (النزيف المتدفق للعقول من أوهايو).

ومن العجيب أن كنائس الإنجيليين شهدت ازدهاراً كبيراً بالرغم من تردي الأوضاع الاقتصادية في الولاية. ولو سرت بسيارتك على الطريق السريع رقم 75 باتجاه مدينة سينسيناتي، لكان أول ما تلحظه تتابع الصلبان المضاءة بمصابيح (النيون) التي يشع نورها من الكنائس المحاذية للطريق، ويكاد يكون لها تأثير التنويم المغناطيسي على الناظر إليها. وتزدحم محطات الراديو ببرامج المحادثة المسيحية، وموسيقى (البوب) المسيحية، وبرامج الوعظ التي تتحدث عن النبوءات. وعلى مقربة من مدينة مونرو، يقف تمثال للمسيح مصنوع من البلاستيك والألياف الزجاجية، ويرتفع 62 قدماً في السماء. ويظهر مجسم المسيح في هذا النصب رافعاً يديه إلى السماء.

وتشهد الكنائس العملاقة - وهي الكنائس التي تستوعب أكثر من ألفي عضو- انتشاراً وتضاعفاً في أرجاء البلاد كافة. وقد وجد منها نحو 15 فقط عام 1970. أما اليوم فقد وصل تعدادها إلى 880 كنيسة[49]، وهي في حالة تزايد مستمر. وهذا النوع من الكنائس لا يمثل سوى نسبة 1 % من مجموع الكنائس في أمريكة، إلا أنها تتزايد باطراد. وبحسب تقديرات جون إن فوغهن، مؤسس مكتب نمو الكنيسة اليوم - وهو مكتب أبحاث واستشارات متخصص بالكنائس - فإن كنيسة عملاقة جديدة تشيد كل يومين[50].

وتقام هذه الكنائس عادة في أطراف المدن في المناطق العمرانية الجديدة، التي تكاد تكون خالية من الأماكن العامة - متنزهات، وساحات عامة، وحدائق عامة، أو حتى أرصفة المشاة في بعض المناطق - وتمثل المناطق العمرانية الجديدة التي تمتد فيها المحلات التجارية الكبيرة المتتابعة إلى ما لا نهاية، وما يصاحبها من انتشار واسع للشعارات والعلامات التجارية المزخرفة بالألوان الزاهية أنقى بيئة للرأسمالية الاستهلاكية. ومع ذلك، فإن التصميم الفظ في بناء مراكز التسوق الشريطية، وتجمعات المكاتب، وإفراطها في التركيز على الجوانب النفعية المجردة عن المشاعر الشخصية، ورفضها الزاهد والمنحرف في تقديم أي تنازل - وإن كان وحيداً - للجانب الجمالي، يذكرنا بالمسخ البشع الذي فرضته الستالينية على الدول الشيوعية. فهذه المباني بتصميمها المبتذل تصل إلى حد العدوانية والإرباك. وقد شعرت أكثر من

مـرة بهلـع الـدوار، في أثناء تنقلي بالسـيارة عبر هـذه المناطق، من بنسـيلفينيا إلى كولورادو؛ لأنني لم أكن أسـتطيع تذكر المكان الذي كنت فيه، بسـبب التشـابه المطبق لهذه الأماكن.

ولأن معظم الضـواحي الجديدة هي مناطق حديثة جداً، فإنه لا أحد من سـكانها نشـأ فيها؛ فكل إنسـان قدم من مكان ما، وهناك أماكن قليلة يمكن للسـكان الالتقاء فيها. وفي مثل هذه الحال، تملأ الكنائس العملاقة الفراغ الروحي والاجتماعي في هذه المناطق؛ لأنها توفر مظلة اجتماعية فورية لهذه الشـرائح المتباعدة من السكان. فإلى جانـب خدمات العبادة، تقيم الكنائس الحفلات وموائد العشـاء، وتقدم الاستشـارة الأسـرية، وتقيم مخيمات صـيفية، وتنظم أيضـاً نوادِيَ ومباريات رياضـية، وملاعب رياضـية، وبرامج لإنقاص الـوزن والحمية الغذائية. ويوجد فـرع لمطاعم ماكدونالد داخل كنيسة برينتوودز المعمدانية في هيوستن، وفرع لمقاهي ستاربكس في كنيسة قداس الميثاق في مدينة تاكوما في واشـنطن. وفي العادة يتم تنظيم أعضـاء الكنيسـة ضمن مجموعات صـغيرة يقوم الأعضـاء فيها بمراقبة تقدمهم الروحي ورصده، وتتكون في أثنائها علاقات قريبة فيما بينهم.

وفي حين يبدو مظهر الكنائس العملاقة مثل أي شيء آخر في هذه المناطق الحديثة في أمريكـة - فهـي في العـادة أبنية ضـخمة كالصـناديق الكبيرة، صـممت لتشـابه مراكز التسـوق الكبيرة، أو المباني متعددة الأقسـام، وهي محاطة بمساحات شاسعة من مواقف السـيارات المعبدة بالإسـفلت - فإنها تعد متنفسـاً للطاقـات الثائرة غير العقلانية، وغير المنتجة، وغير المولعة بالاكتسـاب، ولمشاعر الغضب الشديد، والنشوة الروحية التي لا تنسـجم مع حياة الضواحي. إنها أسـواق روحية، والمثل الأعلى لحياة الضـواحي الجديدة، وبلسـم مشاعر السـخط وعدم الرضـا فيها. إنها الأماكن التي تظهر فيها كل تلك الغرائب والعجائب.

وإذا دخلت كنيسـة عملاقة في ذروة صلاة الأحد، فسوف تشاهد سكان الضواحي الوقورين يتمايلون ويرقصـون، في حين يتراشـق وميض الأضـواء السـاطعة المتقطعة في سـماء القاعة، ويتعالى صـوت الترانيم الدينية؛ وأشبه شـيء بهذا المشهد في نظر

العلماني المتمدين هو حالة النشوة والوجد التي تحدث في ذروة حفلات موسيقى الروك الصاخبة، أو في المشاركة الوجدانية التي تحدث في نوادي الرقص الليلي الجماعي التي تستمر حتى الصباح. وفي العادة يطلب الواعظ من المشاركين أن يتبادلوا التحية مع من يجاورنهم في القاعة، فترى المصلين على اختلاف أعراقهم وأعمارهم يبادرون بتبادل البركات بابتسامات مشرقة. ولا تكاد تجد مثل هذا الترحيب - الذي لا يعرف التفرقة العنصرية - في أي مكان آخر في أمريكة.

وقد يبدو هذا المشهد رائعاً وجميلاً للشخص العادي، لكنه مرعب في نظر المتوجسين من القومية المسيحية. ذلك أن الكنائس العملاقة لا تقتصر على أداء دور مركز الأنشطة الاجتماعية والملتقى العام في الضواحي الجديدة وحسب، بل هي في كثير من الحالات آلات سياسية يمينية محكمة التنظيم. ويعمل قادة المجموعات الصغيرة فيها تحت إشراف المسؤولين الأعلى منهم رتبة في الكنيسة وتوجيههم، وهكذا حتى نهاية السلم. والكنائس ذاتها منظمة ومرتبطة ببعضها كالشبكة، وتتلقى - فعلياً - تعليمات وأوامر من واشنطن العاصمة، ويعقد مجلس أبحاث الأسرة في كل شهر اجتماعاً عبر الهاتف يضم القساوسة المتعاطفين. ويقدم رئيس المجموعة؛ واسمه توني بيركينز، وهو عضو سابق في مجلس نواب ولاية لويزيانا آخر المستجدات عما دار بينه وبين المسؤولين في البيت الأبيض وقيادة الكونغرس، ويوجه الوعاظ والقساوسة إلى القضايا التي ينبغي لفت نظر المؤمنين إليها.

وقد اكتتبت في قائمة الراغبين بتلقي الرسالة الإخبارية الإلكترونية المخصصة للقساوسة. وسرعان ما تلقيت عبر بريدي الإلكتروني، دعوات للمشاركة في هذه الاتصالات. ثم استلمت رقم هاتف مجاني، وكلمة مرور. واتصلت بالرقم ...تبدأ المكالمة بالصلاة، ثم يقدم بيركينز موجزه للمستمعين حول عدد من القضايا، ويتبع ذلك تعليمات ليتم توصيلها إلى رواد الكنيسة. وفي إحدى مكالماته الاعتيادية في شهر إبريل، انصب الحديث بكامله على قضية إعاقة الكونغرس إقرار تعيينات القضاة الفدراليين الذين رشحهم بوش لتلك المناصب. وذكر بيركينز أن «الرسالة هي: إذا كنت شخصاً؛ وتحديداً شخصاً مسيحياً، لديك عقيدة مسيحية قوية إلى الحد الذي

يحملـك على أن تعيش عقيدتك على وجه الحقيقة، فإن أمامك الاختيار بين الخدمة في القضـاء، أو الالتزام بدينك». وبعد بضـعة أيام نظم بيركينز اعتصـاماً حاشـداً احتجاجـاً علـى مناورات الكونغرسـ في تأخير إقـرار تعيين القضـاة، وتم بث وقائع الاعتصام على الهواء مباشرة تحت عنوان: (عدالة الأحد)، ومن أبرز المشاركين في ذلك الحشـد زعيم الغالبية في مجلس الشيوخ بيل فريست. وفي أثناء الاجتماع الذي عقد عبر الهاتف، شجع بيركينز جميع القساوسة على المشاركة، والطلب من رعاياهم في الكنيسـة أن يتصـلوا بممثليهـم في الكونغرس في اليوم المقبل لإبـداء احتجاجهم على ما يحدث. وقال بيركينز: «إننا نضـرب بعمق في أراضـي العدو بتحدينا للنظام القضائي في هذا البلد».

وشـجع بيركينز مستمعيه على حضور (جلسة اسـتماع لموجز السياسة) ستعقد خصيصـاً للقساوسة في العاصمة واشـنطن، وتستمر ثلاثة أيام. وذكر أن أكثر من أربع مئة قسـيس سـجلوا لذلك الاجتماع. وقـال بيركينز: «إنني أعلـم أن (الرب) سيبارك القساوسة بهذا الاجتماع، ليشجعهم، ويمكنهم، ويهيئهم للمعارك الضارية التي تشن علينا».

وتعقـد مثـل هذه الجلسـات عدة مـرات في السـنة، ويتحدث فيها عـدد من قادة الحزب الجمهوري بصفة غير رسمية؛ وفي جلسة سابقة عقدت في شهر مارس، صرح توم ديلي في جمع من القساوسـة أن تيري شـيافو ـ وهي المرأة التي كانت ميتة الدماغ وثار حول قضيتها جدل واسع، واشتهرت في أوساط اليمين المحافظ ـ كانت هدية من الرب. وقال: «إنني أقول لكم – أيها السـيدات والسـادة – إن (الرب) قدم لنا شـيئاً واحداً لرفع مستوى الوعي عما يحدث في أمريكة، إن أمريكة ستكون في غاية الوحشية حين توقف أنبوب التغذية مدة أسبوعين، عن شخص حي لتتركه يموت جوعاً»*.

* خلافاً لما يدعيه اليمين المسيحي، أثبت تقرير تشريح جثة تيري شيافو أنها كانت في حالة متواصلة من الغيبوبة المطبقة التي لا يرجى برؤها. انظر ما نقلته وكالة أسوشييتد برس في 15 يونيو، 2005 بعنوان: (تشريح جثة شيافو يظهر تلفاً في الدماغ لا رجوع فيه).

إن مجلس أبحاث الأسرة هو واحد فقط من بين المنظمات التي تسيّر كتائب الكنائس العملاقة لخدمة سياسات المحافظين. فقد نظم ريك سكاربورو شبكة مؤلفة من أكثر من ثلاثة آلاف من (القساوسة الوطنيين) كما يسميهم، بهدف حفز رعاياهم على وجه دائم. وقد قال لي: «لقد كنت – وما زلت – أحض القساوسة على أن ينشطوا سياسياً، وأن ينخرطوا في المجالات الأخلاقية والمدنية، وأن يتحدثوا عن القضايا اليومية المهمة؛ كي يفندوا أسطورة الفصل»، وهو يقصد – بلا شك – أسطورة الفصل بين الدين والدولة. أما رود بارسلي، فهو مهتم بتنظيم مجموعة تسمى مشروع إصلاح أهايو، إذ قام بتنظيم قرابة ألف قس، في مجهود يهدف إلى السيطرة على سياسات الولاية ومحاربة (العلمانيين الجهاديين) كما يسميهم أحد قادة تلك المجموعة. وهناك جهود مشابهة قيد الإنشاء في ولايات أخرى[51].

وليس من المستغرب أن يكون للقساوسة فائدة ترتجى من هذه الشبكات. فقد نجحوا في إيجاد نفوذ لها عن طريق نشاطهم السياسي. فمثلاً لم يكن للقس جيري جونستون – وهو راعي كنيسة الأسرة الأولى، ذات ثلاثة آلاف عضو في مدينة أوفرلاند بارك بولاية كانزاس – صيت يذكر إلا بعد أن بدأ يجاهر بمعارضته لزواج الشواذ. وهو الآن قد ارتقى إلى الدوائر النخبوية في حركة القوميين المسيحيين.

أنشئت كنيسة الأسرة الأولى قبل ثمانية أعوام، على أرض تبلغ مساحتها واحداً وخمسين فداناً، في ضاحية من ضواحي الأغنياء في مدينة كانزاس. ويقول جونستون: إنه لم يكن يخوض في السياسة في سنواته الأولى، وبقي بعيداً عنها. وقال لي: إنه كان مشغولاً في بناء كنيسته ورعايتها كما يفعل كثير من قادة الكنائس العملاقة. إلا أن خطر زواج المثليين أثر فيه، وسرعان ما بدأ بحضور الاجتماعات التي كان يعقدها مئات من القساوسة القلقين بشأن هذه القضية في ولاية كانزاس، وباشروا العمل والتنظيم بغية وضع استفتاء شعبي معارض لزواج المثليين في الانتخابات العامة القادمة في الولاية. وتابع جونستون قوله: «لم أشاهد من قبل تعاوناً مثل ما شاهدته في قضية تعديل قانون الزواج».

وقبيل انتخابات عام 2004، ألقى جونستون موعظة دينية عنوانها: (الزواج المثلي مقابل الزواج على طريقة الرب). وكعادته، قدم لرعيته في الكنيسة موعظة لكنها أشبه بالندوة، حيث وزع على المصلين كتيبات كتبت فيها جملاً ناقصة؛ كي يكمل الحضور العبارات الناقصة فيها أثناء الموعظة. ومن بين الجمل التي كتبت: «إن إباحة زواج ذوي الميول الجنسية المثلية من بعضهم بعضاً يسارع في ________ الزواج التقليدي والأسرة». (والإجابة، كما جاء في آخر الكتيب هي «تدمير») وجملة أخرى تقول: «من الممكن أن يحل بأمريكة ______ من (الرب) مماثل لما حدث مع الأمم الغابرة التي عصت أوامره، كما جاء في العهد القديم». (والإجابة هي «عقاب»).

لقيت موعظة (الزواج المثلي مقابل الزواج على طريقة الرب) نجاحاً ورواجاً كبيرين، واهتم بها الإنجيليون أيما اهتمام في مختلف أرجاء البلاد. ووزع منها على شكل أقراص مدمجة 2800 نسخة على قساوسة في ولاية أوريغون، وهي ولاية أدرجت تعديلاً معارضاً لزواج المثليين في استفتاء شعبي سيتم في الانتخابات المقبلة. وقال جونستون: «لقد ظهرنا في كثير من البرامج التلفازية، كبرنامج أورايلي في محطة فوكس نيوز، وغيره كثير، وبرنامج سكاربورو، ولا أدري كيف اكتسب هذا الأمر كل هذا الزخم الإعلامي كما حدث، ولكن هذا ما حدث».

جلبت تلك الخطبة البليغة والمؤثرة إلى جونستون اهتمام بعض صانعي الملوك في اليمين المسيحي. فحين تحدثت إليه في مارس من عام 2005، كان على وشك مغادرة مدينة لوس أنجلوس، حيث كان يقوم بمحادثات مع شبكة الثالوث المقدس الإعلامية التي تمتلك ما يربو على ستة آلاف محطة تلفزة مسيحية، وكان الحديث منصباً على تكليف جونستون بإعداد برنامج (يماثل برنامج شان هانيتي، الذي تبثه محطة فوكس نيوز) وتقديمه إضافة إلى ذلك، أصبح جونستون عضواً في مجلس السياسة القومية، وهو مجموعة سرية من القوميين المسيحيين ويجمع في عضويته الطبقة العليا من الجمهوريين المحافظين، والمتبرعين وجماعات الضغط التابعة لليمين المسيحي، إضافة إلى نجوم البرامج التلفازية الإنجيلية.

وإلى جانب إلهاب مشاعر القساوسة، كانت قضية زواج المثليين عاملاً مهماً في تفعيل الدور السياسي للكنيسة لمصلحة الحزب الجمهوري. ومع العلم أن قوانين الضريبة سارية المفعول حتى وقت كتابة هذه السطور، تقرر أن القساوسة الذين يعبرون عن تأييد مرشح سياسي ما من منبر الوعظ في الكنيسة يفقدون إعفاءهم الضريبي بوصفهم مؤسسة دينية (ويذكر أن اليمين المسيحي يحاول جاهداً تغيير هذه القاعدة القانونية الآن، وربما ينجحون في ذلك حين يخرج هذا الكتاب من المطبعة). إلا أن القساوسة أحرار في اتخاذ المواقف تجاه القضايا غير الحزبية الواضحة وحشد أتباعهم وراءها كقضية زواج ذوي الميول الجنسية المثلية. وقد أدى وضع التعديلات التي تحظر زواج المثليين - بصيغة استفتاء شعبي لتصويت الناخبين عليها في الانتخابات العامة - إلى فتح المجال أمام القساوسة لوضع كل طاقاتهم ومصادرهم في السياسة.

ففي ولاية أوهايو، كانت كنيسة بوتر هاوس - وهي كنيسة أصولية مترامية الأطراف في الضواحي الخارجية لمدينة كولومبس - هي المكان الذي جمعت وأحصيت فيه التوقيعات اللازمة لوضع تعديل يحظر زواج ذوي الميول الجنسية المثلية (القضية رقم 1) في استفتاء شعبي. وتولت كنيسة رود بارسلي تنظيم قوائم بأرقام هواتف الناخبين لحثهم على تسجيل أنفسهم، والمشاركة بالتصويت يوم الاقتراع. وبحسب ما ذكرته صحيفة يو إس إيه تودي، فإن بارسلي (جمع قائمة تحتوي على أسماء 100,000 من الأعوان في ولاية أوهايو مع أرقام هواتفهم، لتقوم كنيسة وورلد هارفست بالاتصال بهم عشية اليوم السابق للانتخابات، وتذكيرهم بالتوجه إلى صناديق الاقتراع والتصويت»[52].

طوارئ الأسرة:

كانت ولاية أوهايو الولاية الأكثر تشدداً من بين الولايات الإحدى عشرة التي أقرت تعديلات دستورية في انتخابات عام 2004 تحظر زواج ذوي الميول الجنسية المثلية ذكوراً وإناثاً، وتمنع أي اعتراف قانوني بارتباط شخصين من جنس واحد. وبينما نصت العبارة الأولى من التعديل بأن الزواج هو ارتباط بين رجل وامرأة، إلا أن العبارة

التي تبعتها تقول: «يحظر على حكومة الولاية، وعلى مؤسساتها السياسية تقديم أي وجه من وجوه الاعتراف القانوني بأي علاقة أو حالة تنشأ بين أشخاص غير متزوجين تشابه في هيكلها أو صفاتها أو أهميتها أو آثارها عقد الزواج الصحيح».

وعلى ذلك، فإن القضية رقم (1) يمكنها أن تجبر مدن الولاية وجامعاتها على وقف تقديم منافع الشركاء المحليين، بما في ذلك التأمين الصحي. مثل هذه المنافع كانت متاحة من قبل للأشخاص الذين يعملون لدى بلدية كولومبس، وجامعة ميامي القريبة من مدينة سينسيناتي، وجامعة أوهايو، وجامعة أوهايو ستيت، كبرى الجامعات الأمريكية. أما مقاطعة كليفلاند هايتس فقد كان فيها سجل لتوثيق علاقات الشراكة المحلية، وكانت بعض المدارس الحكومية في الولاية تقدم للموظفين فيها من الشواذ جنسياً إجازات مرضية مدفوعة الأجر للعناية بشركائهم المرضى. وكان متوقعاً من الاستفتاء على القضية رقم (1) أن يضع نهاية لكل ذلك.

وبعد مشاهدتهم التقدم الكاسح للقضية رقم (1) في الاستفتاء الشعبي، أصيب ذوو الميول الجنسية المثلية من سكان المدينة بالرعب. فقد أصبحوا أقلية منبوذة، وأعميت أبصارهم من شدة الحملات الموجهة ضدهم. وشعر قسم كبير منهم بأنهم محاصرون. وشاع بينهم الحديث عن الرحيل إلى ولايات أو بلدان أكثر تعاطفاً معهم.

جولي ريفز ولاي ماملين تسكنان في بيت من الطوب والجبس، في إحدى ضواحي مدينة كولومبس، ومعهما طفلان هما فراني البالغة من العمر سنة ونصف، وتشارلي، وهو في ربيعه الثالث. وتعمل ريفز البالغة من العمر خمسة وأربعين عاماً، بوظيفة إدارية في جامعة أوهايو ستيت، وهي الجامعة التي درست فيها. أما ماملين البالغة من العمر أربعين سنة، وهي الأم الطبيعية للأولاد، فتلزم البيت. وتصطف حافلة عائلية صغيرة أمام المنزل، وفي الداخل كان هناك كومة من كتب الأطفال موضوعة على منضدة غرفة الجلوس. وقبل موعد الانتخابات بأسابيع، جلست الشريكتان في حجرة الجلوس الوثيرة مساء الأحد، وكانت الأسرة في ذلك المساء تمثل صورة حقيقية لحياة سكان الضواحي في أمريكا، إذ جلست الطفلة فراني في حضن ماملين، بينما جثم تشارلي على ركبة ريفز.

ولأن أوهايو لم تكن تسمح للأزواج المثليين بالتبني، فقد تحتم على ريفز القيام بإجراءات قانونية طويلة ومعقدة لكي تصبح (والدة شريكة) للطفلين فراني و تشارلي. وأخبرهما محاميهما بأن إقرار القضية رقم (1) في الاستفتاء الشعبي سيلغي حقهما في تبني الطفلين. وإذا حدث ذلك، فإن أثره لن يقتصر على فقدان ماملين تأمينها الصحي، بل سيشمل الأولاد كذلك.

وكمعظم الشركاء المثليين، يوجد لدى ريفز وماملين عدد من الوثائق المصممة (لتشابه) عقد الزواج الحقيقي، ولا توجد طريقة يمكن بواسطتها معرفة أي من هذه الوثائق ستحظى باعتراف محاكم الولاية. فهل الاتفاقات التي تسمح لكل شريك باتخاذ القرارات الطبية اللازمة للشريك الآخر (في حالة فقدان وعيه) ستكون نافذة؟ وماذا عن وصيتهما؟

وفي هذا الصدد تقول ماملين: «إنه اعتداء شخصي علينا... إننا نشعر بانتهاك حرمتنا، وعدم فهم الآخرين لنا، ونشعر بأننا مبغضون من أناس يجهلون حقيقتنا».

وقبل بضعة أسابيع، أصيبت ريفز بالذعر والصدمة حين أرسلت اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري نموذج تسجيل الناخبين مرفقاً بنشرة مطوية ملونة عن (حماية الزواج). وعلى الصفحة الأولى صورة لعريس وعروس وتحتهما عبارة: «رجل واحد، وامرأة واحدة»، وذكر المنشور أن «الصوت الواحد قد يكون حاسماً في تأكيد بقاء الزواج على تلك الحال». وحذرت النشرة من أن «القيم التقليدية تتعرض للهجوم على يد اليسار المتطرف» الذي يرمي إلى تدمير مؤسسة الزواج التقليدي عن طريق السماح بزواج الشواذ من بعضهم بعضاً، ودعم توفير خدمات الإجهاض الفوري، والإجهاض المتأخر (شبه الولادة). والإعلان بأن قَسَم الولاء غير دستوري لورود كلمة (الرب) في نصه.

وقالت ماملين: إنها كانت تشعر دائماً بالقبول والترحاب بين جيرانها، ولكنها شعرت فجأة بموجة من التفرقة العنصرية والتعصب خلف الباب. «حين يصلك منشور مثل الذي جاءنا بالبريد، وتشاهد استطلاعات الرأي، فإن المرء لا يسعه إلا

أن يوقن بأن التعصب موجود». وتضيف: «إنني سعيدة؛ لأن أولادي صغار لا يدركون هذه الأمور». وتساءلت ماملين بارتياب «من الذي يعتقد أن من حقه أن يدلي بصوته ليقرر ما يخص حياتي ومصيري؟».

فيل بوريس يعتقد أنه يملك ذلك الحق. وبوريس هذا هو مؤسس المجموعة التي تطلق على نفسها (مواطنون من أجل الحفاظ على قيم المجتمع)، وهو القوة الدافعة التي تقف وراء وضع القضية رقم (1) في الاستفتاء الشعبي. وليس لدى بوريس أي شعور بالأسف على احتمال أن تفقد ماملين وأولادها معها تأمينهم الصحي. وقال لي: «إن جامعة أوهايو ستيت، وجامعة ميامي، وبلدية كولومبس، وكليفلاند هايتس، هذه كلها مؤسسات ممولة من دافعي الضرائب؛ إنهم يستخدمون أموال الضرائب ويقدمون مزايا الزواج، في حين أنهم لا يملكون حق التصرف بهذه الأموال بتلك الطريقة».

ويصف بوريس - الذي سبق له أن تزوج ثلاث مرات في حياته - نفسه بأنه مدمن سابق على أفلام الخلاعة والجنس، وأنه من الذين خلصهم المسيح. وقد أمضى معظم العقدين السابقين في مكافحة حقوق الشواذ جنسياً. وأحد أول انتصاراته هو إقناع مدينة سينسيناتي بإقرار تعديل على نظام البلدية عام 1994، يجعلها أول مدينة في البلاد تبطل القوانين التي تحمي الشواذ جنسياً. كما أنه ناشط في الضغط على فنادق أوهايو لمنعها من تقديم أفلام الجنس المدفوعة مقدماً عبر أجهزة التلفاز فيها.

بدأ بوريس يفكر في خطورة حصول السحاقيات على حقوق الأمومة وحضانة الأطفال عام 1995، حين حذره صديقه مايك غابارد الذي يقيم في هونولولو، (الذي خاض الانتخابات التشريعية عام 2004 عن الحزب الجمهوري، ولكنه أخفق) من أن الصراع حول زواج المثليين من بعضهم بعضاً - الذي احتدم في جزيرة هاواي - قد ينتقل إلى بقية الولايات. وفي عام 1996 دعا بوريس إلى عقد اجتماع يضم خمسة وعشرين ناشطاً من (مناصري الأسرة) في مدينة ممفيس لمناقشة إستراتيجية للعمل.

ولا تزال هذه المجموعة من الناشطين التي تطلق على نفسها اسم (مجموعة دي سي)، (نسبة إلى المقاطعة التي تقع فيها العاصمة الأمريكية) تجتمع كل ثلاثة

أشـهر لاقتراح تشريعات مناهضة للشواذ جنسياً. وينتمي موريس أيضاً إلى مجموعة آرلينغتون، وهي تكتل يضـم 53 منظمة معادية للشـواذ جنسياً، ولديها ثلاثة موظفين بدوام كامل في واشـنطن العاصـمة. وتركز مجموعة آرلينغتـون التي تدار من مكاتب تابعة لمجلس أبحاث الأسـرة جل اهتمامها على تعديل الدسـتور لحظر زواج الشـواذ وحظر علاقات الشراكة المحلية.

إن مجرد ذكر عبارة: (زوجين من الشـواذ) بوصفهما جزءاً من المجتمع يبدو أنه يتصـادم مع مفهوم بوريس للحقيقة. وعندما أشـرت في حديثي إلى القضـية رقم (1) بوصـفها تعديلاً دستورياً مناهضـاً لزواج الشواذ، قاطعني قائلاً: «ليس هناك شيء يسمى زواج الشواذ، فكيف يمكن أن يكون هناك شيء يسمى مناهضة زواج الشواذ؟».

♦

تشير استطلاعات الرأي التي أجريت بحسب دراسة مسحية قامت بها محطة سي بي سـي ونيويورك تايمز عـام 2004 إلى أن 32 % من الأمريكيين يدعمون الاعتراف بعلاقات الشـراكة المحلية، التي من شـأنها أن تقدم للأزواج الشواذ كثيراً من المزايا الاقتصادية والقانونية التي يوفرها عقد الزواج الطبيعي. وإذا أضفنا إلى تلك النسبة نسـبة 21 % الذين يؤيدون زواج الشـواذ، فإن المحصـلة تفيد أن غالبية السكان تؤيد الاعـتراف القانوني بزواج الشـواذ. وهذا نصـر كبـير لحقوق الشـواذ إذا أخذنا في الحسـبان أنه قبل ثلاثـين عاماً لم يكن لهم أي اعتراف علنـي. (وبعد أن كانت نقابة الأطباء النفسانيين الأمريكية تصنف الميول الجنسية المثلية ضمن حالات الاضطراب النفسي والخلل العقلي حتى عام 1973).

إلا أن هذا القبول المتزايد للشواذ أدى إلى تزايد وتيرة العنف لدى أقلية ذات شأن من الأمريكيين الذين يكرهون ويخشون الشذوذ الجنسي. أما أمريكة بالجملة، فربما تتحرك الآن بخطوات متلكئة نحو مسـاواة الشواذ جنسياً ببقية المواطنين. وتحت هذا التقدم الإجمالي، هنـاك أجزاء من الوطن تتجه نحو وجهة مختلفة تماماً. وتتيح المدن

الأمريكيــة الكبيرة وبعض الولايات الشــمالية الغربية من البــلاد – وعلى نحو متزايد – لذوي الشــذوذ الجنســي إبرام عقود الزواج أو عقد اتفاقيات مشابهة. وهذا بدوره أدى إلى تحويل الأزواج الشــواذ وعلاقاتهم إلى رموز شــيطانية في يد حركة القوميين المســيحيين. وهــي الحركة المســؤولة عن وضــع أجنــدة الحزب الجمهــوري. وفي عام 2004، استهلت صحيفة واشنطن بوست صفحتها الأولى بتقرير عن احتدام الصراع حول (زواج الشواذ) تحت عنوان: (الإجهاض الجديد).

واحتفــاءً بالعلاقــة الزوجيــة التقليدية المغايــرة، قامت امرأة مــن ائتلاف القيم التقليدية ـ وهي أشــد جماعات الضــغط المناهضــة للشــواذ ـ تلبس فســتان عروس أبيضــ وتقدم الكعك للضــيوف في مؤتمر العمل السياســي المحافظ عام 2004. ويعد هذا المؤتمر الذي يحضــره آلاف الأشــخاص كل عام، نقطة انطــلاق مؤامرة الجناح اليميني العريضــة، فهو المكان الذي قدمت فيه بولا جونز أول مرة إلى العالم. ويجمع هذا المؤتمر بين القاعدة الشــعبية ـ شــباب يلبســون ســترات زرق، وفتيات شقراوات أنيقات يلبســن التنورات القصيرة، ولفيف من أبناء الجنوب البدناء، يلبس معظمهم قمصاناً مكتوب عليها شعارات مثل: (أعدموا موميا) ـ وبين المنظمين، والشخصيات البــارزة، والساســة. وألقى نائب الرئيس دك تشــيني كلمة افتتــاح المؤتمر في الأعوام 2003، و 2004، و 2005. وتحضر هذا المؤتمر في العادة معظم الشخصيات القيادية في الحزب الجمهوري، إلى جانب شخصيات يمينية محافظة مثل فيليبس شافلي، وآن كوتلر، والرئيس التنفيذي للجمعية الوطنية لمقتني البنادق وين لابيير. وهذا المؤتمر هو تجمع يحركه بغض عميق مجلجل لكل ما هو ليبرالي ـ مناصــرة المرأة، الحفاظ على البيئــة، النزعة الدولية. غير أن وقائــع مؤتمر عام 2004 تركزت على عدو واحد أكثر من غيره. فقد كان جند الثقافة والفكر جميعهم يتحدثون عن قضية زواج المثليين.

ومن الواضح أن تحامل اليمين المسيحي على الأزواج المثليين ليس بالأمر الجديد، فقــد بدأ جيري فالويــل بإطلاق تحذيراته مــن زواج المثليين منذ عــام 1980، ـ إلا أن تركيــز اليمين على الشــذوذ الجنســي ازداد حدة في الســنوات الأخــيرة، وبدأت

لغة خطابه تصطبغ بعقيدة نهاية العالم. ففي أكتوبر من عام 2004، خطب جيمس دوبسون في تظاهرة في أوكلاهوما قائلاً: إن زواج المثليين (سوف يدمر الكرة الأرضية). أما القس لو شيلدون؛ رئيس ائتلاف القيم التقليدية، فقد قارن بين إباحة زواج المثليين في ولاية ماسيتشيوستس، وبين هجوم اليابان على ميناء بيرل هاربر في أثناء الحرب العالمية الثانية.

وفي مؤتمر العمل السياسي المحافظ الذي انعقد عام 2004، أدار شيلدون - وهو رجل ممتلئ، وذو بشرة وردية وشعر أبيض كبياض الثلج - لعبة كارنفال تدعى: اقلب الدمية. وفي هذه اللعبة يطلب من المشاركين تسديد عدد من الخرز البلاستيكي على دمى متحركة تمثل أعداء اليمين المسيحي. وكان بعض هذه الدمى يحمل رؤوساً لأسامة بن لادن، وصدام حسين، وهيليري كلينتون. وبعضها كان يرفع لافتة مكتوب عليها: «أجندة الشواذ جنسياً».

وبات شيلدون - الذي يزعم أنه يعقد كل أسبوع اجتماعاً عبر الهاتف مع البيت الأبيض لمناقشة قضايا زواج الشواذ - مقتنعاً بأن أمريكة إذا سمحت بزواج الشواذ، فسوف تسقط من رحمة (الرب) وتصبح بابل جديدة؛ حاضرة البغاء والخلاعة، ورمز (الإباحية، والشهوانية، والشذوذ الجنسي). بحسب تعبيره.

♦

يمكن للمرء أن يلتمس عذراً لسكان الولايات ذات التوجه الليبرالي على عدم تنبههم للأزمة التي حلت بالأسرة الأمريكية. ذلك أن أسرهم على الغالب الأعم هي أسر متماسكة. ويميل المحافظون في العادة إلى وصف الولايات الساحلية التي تصوت لمصلحة الحزب الديمقراطي بأنها جيوب الرذيلة والفساد الأخلاقي، بيد أن هذه الولايات تتقدم في الصعيد الأخلاقي على بقية أجزاء الوطن بحسب عدد من المعايير القابلة للقياس. فبالمقارنة تبدو الولايات المحافظة، التي تلتزم بحماية الزواج، غارقة في الإباحية والفجور، وهو ما يجعل كثيراً من سكانها يستميتون في سبيل التغيير.

وفي عام 2002، طرحت مجلة الإيكونميست هذا السؤال: «ماذا عن المزايا الأخلاقية لولايات الوسط التي يكثر التبجح بها؟»، وتابعت المجلة القول: «... مرة أخرى نجد أن صورة البلدة الصغيرة ذات الورع والاستقامة لا تعكس واقع الحياة في معظم الريف الأمريكي. إذ سجلت الولايات التي فاز فيها بوش في انتخابات عام 2000 معدلات أعلى من الولايات التي صوتت لاختيار غور، في جرائم القتل، والمواليد غير الشرعيين، والمواليد المولودين لأمهات في سن المراهقة»[53].

وتزداد حدة التباين حين تتعلق المقارنة بالزواج. إذ جاء في تقرير نشرته صحيفة نيويورك تايمز بعد وقت قصير من إعادة انتخاب جورج بوش، أن «أدنى معدلات الطلاق سجلت في الولايات التي صوتت لمصلحة الحزب الديمقراطي: وهي الولايات الشرقية الشمالية، وولايات الوسط الغربي. أما الولاية التي سجلت أدنى معدل في الطلاق فهي ولاية ماسيتشيوستس؛ موطن جون كيري، وأسرة كينيدي، وزواج المثليين. وفي عام 2003، كان معدل الطلاق في ماسيتشيوستس 5,7 لكل ألف من المتزوجين، مقارنة بنسبة 10,8 في كنتكي، و 11,1 في ميسيسيبي، و 12,7 في آركانسا»[54].

إن هذه الأرقام تجعل من الاستعلائية الثقافية التي تتبجح بها الولايات المحافظة أمراً مثيراً للاشمئزاز. ولا يقتصر الأمر على هذا النفاق وحسب. فسكان أشد الولايات انتماءً إلى اليمين المحافظ يرون أسرهم والأشخاص من حولهم في حالة من التفكك والانهيار، وهم يتخبطون في سبيل إنقاذهم. وينجذب مستمعو برنامج جيمس دوبسون الإذاعي - وهم زهاء سبعة ملايين شخص - إلى قضايا (انعدام السعادة الشخصية) أكثر من انجذابهم نحو القضايا السياسية ـ فالبرنامج يصرف جل تركيزه على النساء اللاتي فقدن حب أزواجهن لهن، وعلى الأزواج الذين يهملون زوجاتهم. وتفسر معظم حالات القسوة وانعدام الأمن الأسري في العلاقات المعاصرة على أنها أزمة روحية يجب حلها؛ لكي يشعر الناس بالأمان فيما يأخذون على أنفسهم من عهود والتزامات. وحين يتحدث الإنجيليون عن المحافظة على (قدسية) الزواج، فإنهم يقصدون أيضاً المحافظة على أمنه.

وفي عام 2000، أعلن مايك هاكابي حاكم ولاية آركنسا عن حالة (طوارئ الزواج) في الولايـة، وتعهد بتقليص معدلات نسـب الطلاق في الولاية إلى النصـف في عقد من الزمان. ولم يحقق هاكابي نجاحاً يذكر، غير أنه حصل على كثير من الإطراء والمديح في عيد القديس فالنتين (عيد الحب) عام 2005، حين أقام مع وزوجته جانيت، قداساً رسمياً في قاعة آلتيل في مدينة ليتل روك عاصمة الولاية، لتحويل زواجهما إلى (ميثاق زواج)، وهذا الميثاق هو العلاج المفضل - لدى القوميين المسيحيين - للتفكك الأسري.

وهـذا النوع من الـزواج - الذي يوجد في ولايات لويزيانا، وآريزونا، إضـافة إلى آركنسا - يختلف عن عقد الزواج العادي في صعوبة إنهائه. فهو - ومن باب السياسة العامة - مصـمم لتخفيض معدلات الطلاق. إذ نص قانون ميثاق الزواج في آركنسا لعـام 2001 أنـه: «لا يجـوز لأحد الطرفين أن يطلب فسـخ الـزواج إلا في حالة وقوع مخالفـة كلية وتامة للالتـزام بميثاق الزواج». وتشـمل المخالفة الإيذاء الجسـدي، والسـجن، أو «إدمان المسـكرات مدة عام». وواضـع قانون ميثاق الزواج في لويزيانا تـوني بيركينز، رئيس مجلس أبحاث الأسـرة في الولاية، الذي كان وقتها عضـواً في المجلس التشريعي للولاية.

وقبـل الاحتفـال الكبير الذي أقيم يوم عيد القديـس فالنتين، قام الحاكم هاكابي بجولة رافقه فيها دينيس ريني عريف الحفل، وهو رئيس فرع منظمة الحملة الصليبية في الجامعات من أجل المسـيح. وقام الاثنان بحض القساوسـة على عدم إبرام عقود زواج غير (ميثاق الزواج) في كنائسهم. وقامت الكنائس تباعاً، بتنظيم قوافل حافلات لنقل رعاياها إلى قاعة آلتيل في سبيل تجديد إيمانهم كما يصفه ولمارك.

كان الحـدث الأبرز في تلك الليلة هو تغيير هاكابـي وزوجته عقد زواجهما الحالي إلى (ميثاق الزواج)، وإعادة التأكيد على تعهداتهما الزوجية، بما في ذلك تعهد جانيت (بالخضـوع) لزوجها مايك. وحين فرغ الزوجان من تلك المراسيم، وجها الدعوة إلى الحضـور لتجديد تعهداتهم. وتعهدت آلاف الزوجات - اللاتي تلبس بعضـهن ملابس السـهرة، وبعضهن الآخر كن يلبسن فسـاتين الزفاف - بالخضوع لأزواجهن، ثم قبل آلاف الأزواج زوجاتهم وسط جو من الابتهاج والتشجيع.

ومع أنه تم الترويج لهذه التظاهرة بوصفها احتفالاً بالزواج السوي، إلا أن كثيراً من المراقبين استشعروا أهدافاً ضمنية معادية للشواذ. وقد التقيت شخصياً أناساً جاؤوا إلى قاعة آلتيل وهم لا يعرفون شيئاً عن (ميثاق الزواج)، ولكنهم جاؤوا من أجل التعبير عن رفضهم ومعارضتهم للشذوذ الجنسي. وتساءل رجل عريض المنكبين يلبس بذلة سوداء وقبعة رعاة البقر، قائلاً: «لماذا لا يرجع هؤلاء الشواذ إلى مخابئهم، إنهم يسلكون مسلكاً منافياً للعقل. إن أفعالهم تناقض الطبيعة». وأشار ابنه – وكان هو الآخر يلبس قبعة رعاة البقر – إلى زوجته الحامل، وقال: «لا يمكنهم فعل شيء كهذا».

وحين هممت بالابتعاد عنهم، صاح الابن قائلاً: «تذكري أن سكان قريتي سدوم وعَمُورة أحرقوا بالزيت؛ لأنهم كانوا من الشواذ».

أهداف متحركة:

كانت المشاعر في قاعة آلتيل تتسم ـ عموماً ـ بالحلاوة أكثر منها بالمرارة، غير أن هذه الوحدة الدافئة بين الحضور كانت تعتمد على العدو الغائب. فالقومية المسيحية – كما هي حال بقية الأيديولوجيات الصدامية – لا يمكنها البقاء إلا في معارضة شيء ما. ويعتمد ظهورها بمظهر الفضيلة على شعورها بأنها مستهدفة ومحاصرة، وذلك بصرف النظر عما استجمع لديها من سلطة ونفوذ. فالمحافظون يسيطرون على معظم أجهزة الحكومة الفدرالية، إضافة إلى وجود ثقافة مسيحية معاكسة عارمة. ولكنك لو ذهبت إلى أي تجمع للجناح اليميني المحافظ، فسوف تسمع الخطيب تلو الخطيب يتحدث عن الهجوم الذي يستهدفهم، وعن أمنياتهم (باستعادة البلاد)، وعن ضرورة زيادة حدة المقاومة.

ونظراً إلى حاجتهم لرؤية عدوهم بحجم بغضهم له، فإنهم يبالغون في قوته، وبذلك يتحوّل الشواذ جنسياً إلى تهديد لأهم شيء يملكه المحافظون؛ وهو أسرهم. وفي وقوفهم في وجه هذا الخطر، يستشعر المحافظون في أنفسهم معاني البطولة والبسالة، وتتحول أحقادهم إلى فضيلة.

Obeikandl.com

وهذه ظاهرة معهودة، وهي التي يصفها ريتشارد هوفستادتر في مقالته المبدعة المنشورة عام 1964 بعنوان: (نمط جنون الارتياب في السياسات الأمريكية)، حيث قال: «ولما كان يُنظَر إلى العدو بوصفه الشر - كل الشر - وأنه لا يمكن إرضاؤه، فقد تحتم القضاء عليه نهائياً في كل مكان، وإن لم يتيسر ذلك، فعلى الأقل في المحيط الذي يمارس فيه الموسوس المهوَّس نشاطه»، ويتابع هوفتسادر قوله: «وحتى لو تحقق له نجاح جزئي، فإن الشعور الذي كان يلازمه منذ البداية بعدم الحيلة والقوة تجاه هذا العدو، يبقى معه، وهذا من شأنه أن يعزز من قناعته بالمزايا المروّعة التي يتسم بها العدو الذي يواجهه»[55].

وفي حين يتسم نمط جنون الارتياب بالدوام، إلا أن العدو يأخذ أشكالاً متغيرة. ففي القرنين التاسع عشر والعشرين، كانت حركة اليمين المحافظ الأمريكية تضطرم خوفاً وحقداً على الكاثوليك، وهو بغض مصحوب بهوس منحرف، بما يفترض أنه فجور في الرهبنة. (وتتدرج كتب اليمين المحافظ عن (أجندة الشواذ) ضمن هذا السياق، حيث تكثر من الإسهاب الفاضح في وصف أغرب الممارسات الجنسية لدى الشواذ وأقذرها).

ومن المؤكد أن عداوة البروتستانت لأتباع المذهب الكاثوليكي لم تختفِ حتى هذا الوقت. ونجد في سلسلة روايات (المتخلف عن الركب)، من تأليف تم ليهي وجير جينكز أن هناك كاردينالاً كاثوليكياً بين أقرب المقربين من عدو المسيح (المسيح الدجال) «بعباءته، وقبعته، ودرعه المخملية، وأوشحته المطرزة»[56]. وتحظر كثير من المعاهد البروتستانتية أتباع الكاثوليكية واليهود من التدريس فيها. ولا تزال جامعة بوب جونز تطلق على المذهب الكاثوليكي وصف (النحلة الضالة). وقد أثارت زيارة جورج بوش لهذه الجامعة في أثناء حملته الانتخابية التمهيدية عام 2000 بعض الاستنكار في الأوساط الإعلامية.

ومع ذلك، فقد شهدنا في العقدين الماضيين تحالفاً مهماً بين الإنجيليين والمحافظين الكاثوليك، مؤسساً على السياسات المتعلقة بالجنس، وتحديداً في

المعارضة المشتركة للإجهاض وزواج ذوي الميول الجنسية المثلية. واليوم هناك عدد من الكاثوليك هم من الرموز القيادية في اليمين المسيحي، من بينهم ويليام بنيت وآلين كيز. كما أظهر المولودون من جديد في العقيدة البروتستانتية حفاوة بالغة بفيلم (آلام المسيح)؛ وهو رواية دموية من بطولة الممثل الكاثوليكي اليميني المتشدد ميل غيبسون. وحين اعتلى الكاردينال المتشدد راتسنغر كرسي البابوية عام 2005، رحب به البروتستانت بصفته حليفاً لهم.

♦

كانت العنصرية - وما زالت - عنصراً مهماً في تركيبة الحركات اليمينية الأمريكية المتطرفة، ولا تزال قوية في أماكن كثيرة من البلاد. وفي عام 2004، جلبت ولاية آلاباما على نفسها الخزي حين رفض الناخبون فيها إزالة مخلفات من عهد التمييز العنصري من دستور الولاية، المتمثلة بالنصوص التي تقر الفصل العنصري. وفي عام 2001، ألقى توني بيركينز - عضو مجلس أبحاث الأسرة - خطاباً في اجتماع مجلس المواطنين المحافظين في ولاية لويزيانا. وهذا المجلس يُعَدُّ من المنظمات العنصرية للأمريكيين البيض(57). وأظهرت دراسة مسحية قام بها مشروع التعددية الأمريكية التابع لجامعة مينيسوتا أن 48,3 % من المسيحيين المحافظين البيض لن يوافقوا على قرار أبنائهم بالزواج من شخص أسود، هذا بالمقارنة مع نسبة 21,8 % من مجمل الأمريكان البيض الذين يتبنون موقفاً مماثلاً تجاه هذه القضية.

ومع ذلك كله، يمكن القول: إن قضية التفرقة العنصرية قد باتت - وعلى نحو متزايد - من المحرمات في أوساط اليمين المسيحي. وتشهد الثقافة البروتستانتية في كثير من الأماكن مزجاً بين البيض والسود. ومع أن الكنائس العملاقة أكثر التزاماً بالنهج المحافظ من الكنائس التقليدية الأسبق في الوجود، والأثبت في التأسيس، غير أنها أكثر تنوعاً وتعدداً في أعضائها. فعلى سبيل المثال، تبلغ نسبة الأمريكيين من أصل إفريقي في كنيسة وورلد هارفست 40 % من مجموع المنتسبين إليها، وفيها عشرات الأسر مختلطة الأعراق. وذات مرة، نادى أحد أعضاء فرقة الغناء في

الكنيسة: «هل يوجد بيننا هذا الصباح أناس سود؟». وهو تساؤل يثير في الحضور التصفيق والتشجيع.

لقد عمل القادة البروتستانت بجدٍ وتفانٍ في سبيل تطهير الحركة من ماضيها العنصري. وعادة ما يصاحب هجومهم على زواج ذوي الميول الجنسية المثلية شجب للقوانين المناهضة للتزاوج بين الأجناس والأعراق. وفي عام 1990، أنتج ائتلاف القيم التقليدية بالاشتراك مع أفلام جيرماياه فيلماً وثائقياً بعنوان: (حقوق الشواذ، والحقوق الخاصة)، تم فيه إظهار الحركة المطالبة بحقوق الشواذ على أنها خيانة للنضال النبيل لحركة الحقوق المدنية. (وكان من بين المتحدثين في هذا الفيلم ترينت لوت، الذي أجبر على الاستقالة من منصب زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ بعد أن صرح بأنه كان من الأفضل لو اختار الأمريكيين عام 1948 المرشح ستورم ثورمند الذي كان ينادي بالفصل العنصري).

وتتم استضافة القساوسة السود وإبرازهم في التظاهرات المناهضة للشواذ جنسياً. وحين تحدثت إلى جيري جونستون في كانزاس، كان منشغلاً في التحضير لتظاهرة مناهضة لزواج المثليين ستقام في إبريل من عام 2005 في مدينة كانزاس. وقال لي: إن الإطار العام للتظاهرة سيكون (المصالحة العرقية).

ومن أهم الشخصيات التي عملت على توحيد الناس باستخدام الخوف من ذوي الميول الجنسية المثلية؛ ديفيد بارتون. وقد ساعد بارتون في جعل فرع الحزب الجمهوري في ولاية تكساس أشد فروع الحزب في مناهضة الشواذ جنسياً. حتى إن برنامج الحزب لعام 2004 نص على أن «ممارسة اللواط تمزق النسيج الاجتماعي في البلاد، وتسهم في التفكك الأسري، وتفضي إلى انتشار الأمراض السارية المنذرة بالخطر. إن السلوك الجنسي المثلي يناقض الحقائق الجوهرية الثابتة التي وضعها الرب، التي أقرها آباؤنا المؤسسون، وتؤمن بها أغلبية سكان ولاية تكساس».

استطاع بارتون - حتى مع تهجمه على شريحة سكانية من شرائح المجتمع - أن يظهر بمظهر الشخص الجديد غير العنصري، عن طريق تواصله مع المسيحيين السود

(ومن المرجح أن معظمهم يجهلون علاقاته السابقة بالجماعات العنصرية المناهضة للسود والملونين). وينشر بارتون رسالة إخبارية عنوانها: (تاريخ الأمريكيين الأفارقة)، ويبيع عبر موقعه الإلكتروني ملصقات تحتفي بتاريخ السود، وسبق له أن تحدث في (التظاهرات والاعتصامات الوحدوية) إلى جانب قساوسة من السود. وفي إبريل من عام 2004، ألقى بارتون خطاباً في خمس مئة شخص، في حفل نظمته مجموعة عمل نقض العنصرية في مدينة لوفكين بولاية تكساس، حيث جثا عدد من القساوسة البيض وأعوانهم على ركبهم تجاه إخوتهم السود، متوسلين المسامحة والعفو منهم على ما وقع عليهم من ظلم في السابق[58].

وقد دفعت بعض المبادرات المناهضة لزواج ذوي الميول الجنسية المثلية إلى رفع نسبة السود الذين صوتوا لمصلحة بوش في انتخابات عام 2004 في بعض الولايات. إذ حصل بوش في ولاية أوهايو على نسبة 16 % من أصوات الأمريكيين ذوي الأصول الإفريقية، مقارنة بنسبة تأييد هذه الفئة السكانية له على المستوى الوطني التي بلغت 11 %. وعزا رود بارسلي وآخرون هذه النتيجة إلى القضية رقم (1) [59].

♦

وكما حدث للتمييز العنصري، أصبحت معاداة السامية أمراً غير مقبول في معظم دوائر الإنجيليين البروتستانت. بل تحولت هذه العداوة إلى محبة للسامية وعشق للصهيونية. ويرجع هذا التوجه - في جزء منه - إلى مشاطرة اليمين المسيحي دولة إسرائيل في حربها ضد الإرهاب، غير أن الأهم من ذلك هو التأثير الكبير لعقيدة نهاية العالم لما قبل الألفية. وهي عقيدة جوهرية في الديانة المسيحية البروتستانتية الأمريكية. ويعتقد المؤمنون بهذه العقيدة ـ وتشمل هذه الفئة غالبية القادة الإنجيليين البارزين ـ أن عودة اليهود إلى إسرائيل، واستعادة اليهود سيادتهم على جبل الهيكل شرط لمعراج المسيحيين إلى السماء؛ ليكونوا مع الرب، وتدمير الآخرين، وعودة المسيح.

بيد أن هذا لا يعني أن مشاعر العداء لليهود قد اختفت من اليمين المسيحي. فتسلسل الأحداث الذي يضعه أصحاب عقيدة نهاية العالم يحتوي على معركة

مدمرة في إسرائيل، والموت العنيف لمعظم اليهود. وتذكر سلسلة روايات "المتخلف عن الركب"، أن اليهود الذين كفّروا عن (الخطيئة القومية المحددة) وهي (رفض الاعتراف بأن يسوع هو المسيح) هم وحدهم الذين سينجون من العذاب وحسب[60]. وسيدعي الأصوليون المسيحيون بأنهم يعلنون ببساطة عن الحقيقة المفجعة، غير أن معظم كتاباتهم تسهب في سرد تفصيلات الفاجعة التي ستحل باليهود.

إضافة إلى ذلك، فإن اللغة التي يستخدمها اليمين المسيحي في وصف أعدائهم تعكس أصداء معاداة السامية الكلاسيكية. وقد نشرت مجلة هيومان إيفنتس (الأحداث الإنسانية) – وهي مجلة تابعة لليمين المسيحي المحافظ – مقالة شبه ساخرة على موقعها الإلكتروني بعنوان: (إعلان الطرد: اقتراح متواضع)، وفيها اقترح الكاتب طرد عدد من الولايات الليبرالية من الاتحاد الأمريكي:

> لم يعد الأمر يقتصر على كون الليبراليين طبقة اجتماعية ناشطة في معارضة اليمين؛ بل في كونهم أعداء يحتقرون جوهر ذوق الحضارة وتقاليدها. ولم يخطر في بال الآباء المؤسسين أن يكون التجريح محمياً بنص مادة التعديل الأول على الدستور، في حين نجده اليوم يزدهر ويترعرع بوصفه خطاباً سياسياً مقبولاً. وتعوم الأفلام، والمجلات، والصحف اليومية، وبرامج الإذاعة والتلفاز، والمسرحيات، والمهرجانات، والمدارس الحكومية، والمعاهد والجامعات، وغيرها من الوسائط العامة في سيل من الافتراءات والقدح والتشهير العلني .... وحين يكلُّ الليبراليون من رشق الضحايا المحافظين بالطين، يلجأ الليبراليون إلى الترويج للموضوع الوحيد الذي يجيدون التحدث فيه بارتياح ودون تكلف: (الفحش والانحراف الجنسي). وكأن الجينات التي يحملها الليبراليون قد أكسبتهم مناعة من كل أنواع البذاءة.

قارن هذه القطعة بالرسالة التي كتبها الزعيم النازي هانز أوبيرليندوبر عام 1937، وعنوانها: (اليهودي المهذب) التي وصف فيها الباحث اليهودي (واللوطي) المتخصص في قضايا الجنس ماغنوس هيرشفيلد، قائلاً إنه:

واحد من جحافل اليهود الذين يفسدون الشباب، ويرتكبون الاعتداءات والجرائم الجنسية، وأشباه العلماء، وكاتبي الروايات والمسرحيات، والرسامين والنحاتين، ومديري المسارح ونوادي الرقص الليلي، والناشرين والموزعين لكتب الخلاعة والجنس ومطبوعاتهما. إنهم يتنافسون فيما بينهم في إنتاج هذه البذاءة، ويتجاوزون بعضهم بعضاً في الفحش، مما يسهل عمل رفاقهم العنصريين الذين يسعون إلى الهيمنة على شعب ضعيف واهن العزيمة آل إلى تلك الحال بفعل مثل هذا (الفن). وقد سموا غياب القواعد الأخلاقية: (حرية)، واندفاع الشهوات المنفلتة بأنها: (حقوق الشباب).

وكتب أوبيرليندوبر عن كيفية قيام اليهود «وعن سابق إصرار بالترويج وتشجيع قتل أطفال شعبنا قبل ولادتهم عن طريق الإجهاض»[61].

ولا يزال كثير من الناس في اليمين المحافظ يفكرون على غرار أوبيرليندوبر. غير أن الصفات التي أسقطها النازيون على اليهود تتم نسبتها إلى الليبراليين، وبخاصة الشواذ جنسياً. ويمقتهم القوميون المسيحيون على أنهم ضعاف منحلون أخلاقياً، وحتى في ظل خوفهم من شبكاتهم الهدامة، فإنهم يستشهدون بقوتهم المخيفة لتسويغ كل فعل يوجهونه ضدهم.

♦

بدأ تم أولدفيلد راعي كنيسة بوتر هاوس في مدينة كولومبس يلقي موعظته مساء السبت قبيل انتخابات عام 2004، مستهلاً إياها بهجوم سافر على الشذوذ الجنسي. وقال: «إننا نعيش في عصر أصبح الشذوذ الجنسي فيه طريقة حياة، بعد أن كان هذا السلوك يصنف في وقت من الأوقات ضمن أمراض الاختلال العقلي ... والإنجيل يسميه رجساً، والرجس هو شيء مقرف مقزز!» وفي تلك اللحظة أومأت امرأة عجوز من بين الحضور رأسها قائلة: «مقرف للغاية».

تقع كنيسة بوتر هاوس مبنى ضخم حديث يبدو وكأنه محطة استراحة يعلوها برج كنيسة على جانب الطريق السريع. وهي واحدة من ثلاث كنائس منتشرة في نهاية ضاحية سكنية تعج بلافتات تأييد لبوش وتشيني. وفي مدخل الكنيسة، وضعت رزم من نماذج تسجيل الناخبين.

ومن أوائل الذين قابلتهم في كنيسة بوتر هاوس، شخص يدعى روب مايرز، وهو عضو في الكنيسة وناشط في حملة مناهضة زواج المثليين. وينتمي مايرز أيضاً إلى مجموعة تطلق على نفسها (مينيتمن يونايتد)، ويرأسها ديفيد دوبنماير الذي يعمل مدرب كرة قدم في نادٍ محلي، وقد تحول أخيراً إلى مبشر إنجيلي. وفي عام 2004، ترشح دوبنماير؛ لعضوية مجلس التعليم في ولاية أوهايو، «من أجل الدفاع عن أطفالنا في المدارس الحكومية، وحمايتهم من المذاهب الإنسانية غير الربانية». كما يذكر في الموقع الإلكتروني التابع لمجموعة (مينيتمن يونايتد). وفي أثناء الحملة الانتخابية الخاصة بالاستفتاء على القضية رقم (1) نظم كل من مايرز ودوبنماير ورهط آخرون احتجاجاً ارتجالياً في جامعة أوهايو ستيت، مطالبين فصل رئيسة الجامعة كارين هولبروك من منصبها «لأن هولبروك تعتقد أن الأشخاص الذين يعيشون علاقات جنسية مثلية هم الصنف الأمثل من الأساتذة الذين تسعى جامعة أوهايو إلى استقطابهم» بحسب ما جاء في بيان المجموعة.

كان مايرز واثقاً من أن القضية (1) سوف تحرك الصوت المسيحي، وقال: «أعتقد أن هذه القضية سوف تدفعهم نحو مراكز الاقتراع». وأضاف أنه في السابق كان خمس أعضاء كنيسته من الناشطين سياسياً، وقد أيقظت قضية زواج ذوي الميول الجنسية المثلية بقيتهم.

ولأن مايرز كان يبدو رجلاً محبباً وشهماً، فقد تساءلت عما سيقوله لو رأى جولي رفرز ولاي ماملين، وسمع منهما عن مدى قلقهما وخوفهما من فقدان التأمين الصحي لهما ولأولادهما. وكانت ماملين تتخيل ما سيحدث لو أنها أخذت أولادها إلى إحدى الكنائس المناهضة للشواذ جنسياً، وتخيلت أنها ستسألهم: «هل لديكم شجاعة كافية

للنظر في عيون أولادي لتقولوا لهم: «إنكم لا تستحقون الأمان المالي الذي ينعم به أولاد جيرانكم» وتخيلت أنها ستقول لهم: «لكم أن تكرهوني، ولكن لا تكرهوا أولادي».

ولما طرحت على مايرز حالة أسرة ماملين، رد بالقول: «إنني لا أحمل في نفسي أي شيء ضدهم...».

وفي هذه اللحظة تدخلت زوجته الشقراء التي كانت تراقبنا بحذر ونحن نتحدث قائلة: «ولكن كلمة (الرب) ضدهم».

وبعد بضع دقائق بدأت الصلاة، وبدت القاعة وكأنها صالة رياضية مغلقة في مدرسة ثانوية، وكان على جانبي القاعة شبكتان لكرة السلة، وتدلت أعلام لمختلف دول العالم على الحائط، بينما أبرز علما الولايات المتحدة وإسرائيل وسط المنصة. ووقف مايرز وزوجه في المقدمة، وقد لف كل واحد منهما ذراعه حول الآخر.

وكانت جوقة موسيقى الروك تعزف خلف المغني الذي كان أداؤه شبيهاً بغناء ريتشارد ماركس نجم موسيقى البوب في الثمانينيات. وكان يسانده في الغناء ثلاثة من منشدي الإنجيل. لم يكن الحضور كثيفاً؛ لأن الحفل كان مساء السبت وليس صبيحة الأحد، إذ حضره بضع عشرات من الناس. وقليل منهم جاء لابساً بزّة رسمية. ووقفت امرأة تلبس قميصاً زهرياً باهت اللون وحدها، وكانت تبكي واضعةً رأسها بين يديها قبل بدء الصلاة.

وحين توجه القس أولدفيلد نحو المنصة، ووقف خلف المنبر البلاستيكي الشفاف، بدأ حديثه فوراً عن الانتخابات، وقال: «عليكم أن تصلّوا، وأن تتقوا (الرب) فيمن ستنتخبون... وفي الأسابيع القادمة، سنحاول حفزكم؛ لتكونوا جزءاً من العملية السياسية. يجب أن تتوجهوا إلى صناديق الاقتراع وتنتخبوا».

ثم شرع يتحدث عن الشواذ، قائلاً: «لقد أصبحت معاداة (الرب) والفساد الأخلاقي في بؤرة تركيز المجتمع»، ثم تابع بصوت جهوري متئِّدٍ: «هناك أعداد غفيرة من الذين يأتون للصلاة في الكنيسة لم تعد تنظر إلى الشذوذ الجنسي بوصفه إثماً وخطيئة.... وأصبحنا ننعت في هذا الزمان بالتحريض على الكراهية والخوف من

الشـواذ». وتابع قوله: «إن على المسـيحيين، وفي وجه هذا الهجوم الكاسح، أن يمتلكوا الشـجاعة للقول: إن الشـذوذ الجنسـي هو فعل «قبيح فاحش في عين الرب»، وخطأ، ويستدعي التوبة في هذا البلد!».

ورفعت عجوز ذات شعر خفيف من بين الحضور قبضة يدها تأييداً لما سمعت، ثم صـفقت بيديها فوق رأسـها. وسـمعت صـيحات: «آمين»، و«يا يسوع» تتردد في جنبات القاعة.

♦

علـى الرغم من وصـفهم اللوطيين بالفحش، والإفسـاد الأخلاقـي، إلا أن معظم الأصـوليين المسـيحيين يصـرون علـى أنهـم لا يحملون مشـاعر كراهية تجـاه ذوي الميول الجنسـية المثلية، ومثل القس أولدفيلد، فإنهم يعدون أن وصـفهم بالتحيز ضد الشـواذ إهانة لهم. ويقولون: إنهم يكرهون الخطيئة، وليس الخاطئين. ومن الجوانب الحاسمة في هذه العقيدة القناعة بأن الشذوذ الجنسي يمكن علاجه. ولتحقيق ذلك، أقام الإنجيليون شبكة واسـعة من مراكز الإرشاد، وبرامج الإقامة الداخلية، وندوات مخصصة لتحويل الشواذ جنسياً إلى أشخاص أسوياء باستخدام العلاج الإصلاحي. بل وذهبوا أيضـاً إلى تخصـيص عيد في السـنة أطلقوا عليه (اليوم الوطني للخروج من الشـذوذ الجنسـي)، في مقابل العيد الذي اتخذه الشواذ وأسموه: (اليوم الوطني للخروج والإعلان عن الشذوذ الجنسي).

ويعـوّل كثـير مـن المحافظـين المسـيحيين - شخصـياً وأيديولوجياً - علـى الأمل بإمكانية (خروج) الشواذ من شذوذهم الجنسي. وهناك عدد كبير منهم، مثل فيلبس شافلي و آلين كيز، لديهم أبناء من الشواذ جنسياً. ويرغب بعض الشواذ الذين ولدوا في مجتمعـات إنجيليـة أن ينتمـوا إلى تلك المجتمعات، إلا أنهم يصـابون بالرعب من حالة النفي من المجتمع التي يعيشونها في المدن الساحلية، ويتمسكون بالعلاج النفسي الإصلاحي، آملين أن يحولهم إلى أشخاص أسوياء كما يرغب ذووهم.

وفي عام 2000، حضرت مؤتمراً وطنياً أقامته منظمة تدعى إكسودس إنترناشونال، وتعني: (منظمة الخروج الجماعي الدولية)، وهي مجموعة تضم أكثر من 150 جمعية كنسية للشواذ السابقين. وعقد المؤتمر في شهر أغسطس في مدينة سان دياغو، وجمع المؤتمر أكثر من 1000 شخص من الذين كانوا يمارسون الشذوذ الجنسي، أو الذين يأملون في ترك الشذوذ، ومعهم أسرهم. وكان الأولاد الصغار الذين يرتدون بناطيل الجينز الفضفاضة ذات اللون الباهت، يتجولون في قاعة المؤتمر على غير هدى، وكان وجودهم بتلك الهيئة أليق بحفلة موسيقية لفرقة الروك منها بمؤتمر ديني. وارتدى عدد كبير منهم قمصاناً طبعت عليها شعارات دعائية لفرق روك مسيحية، أو شعارات تشجع السلوك المسيحي مثل: (الشيطان حقير). وكان لدى كل شخص قصة مفجعة تتحدث عن كره الذات والشعور المفرط بالذنب. ويتذكر شخص بلغ العشرين من العمر، وينحدر من مدينة فونتانا جنوب كاليفورنيا ما حدث له في إحدى الليالي قبل عدة أشهر، حين ألقاه أحد الأشخاص المتزوجين على قارعة أحد الشوارع المهجورة غربي مدينة هوليوود بعد أن فعل فيه الفاحشة. وقال: إنه ارتمى على الرصيف، وقال بعد أن أخذه النشيج: «يا يسوع، إما أن تنزع مني الشذوذ الجنسي، وإلا فسأنزع حياتي منك». وأضاف بأن المؤتمر كان أسعد خمسة أيام مرت عليه في حياته. وكان الأمل يملأ قلبه بأن حياته على وشك أن تتغير.

والأرجح أنه أُعِد لخيبة أمل قاسية، وذلك لعدم وجود أي دليل على أن العلاج النفسي الإصلاحي يمكن أن ينجح بأي شيء سوى جعل الشواذ يمتنعون عن ممارسة الجنس. فقد اعترف لي فرانك وورذن - وهو أحد الناشطين السابقين في حركة المطالبة بحقوق الشواذ، ثم أصبح من مؤسسي حركة الشواذ السابقين، وهو الآن يدير برنامج نيو هوب (الأمل الجديد) في مدينة سان رافيال في ولاية كاليفورنيا، وهذا البرنامج من البرامج التي تقدم العلاج الإصلاحي للشواذ، حيث يقيم الذكور فيه مدة عام، ويعملون بغية الهروب من المغريات الجنسية - حين التقينا عام 2000، بأن 50 % من الأشخاص الذين ينتسبون إلى البرنامج يعودون إلى شذوذهم السابق، وأن عدداً كبيراً من الباقين يهجرون الجنس. وينصّ كتاب الإرشادات العملية لمنتسبي

البرنامج على أن «هدفنا الأسمى ليس تحويل الشواذ جنسياً إلى أشخاص أسوياء. فـ(الرب) وحده هو الذي يقرر إن كان لوطي سابق سيتزوج ويرزق بأسرة، أو أنه سيبقى هو في حالة عزوبية ليخدم (الرب) بكامل قلبه».

ومن بين الذين انسحبوا من حركة الشواذ السابقين اثنان من مؤسسي منظمة إكسودس إنترناشونال، هما مايكل بسي وغاري كووبر، وقد هجر كل واحد منهما زوجته؛ ليعيشا معاً عام 1979. أما جون بولك - أحد نجوم الحركة الذين يشاد بهم في الكتب وأشرطة الفيديو التي تصدرها الحركة عن أجندة الشواذ جنسياً - فقد التقطت له صورة عام 2000 في إحدى حانات الشواذ في العاصمة واشنطن. وفي بريطانية تحولت إحدى منظمات الشواذ السابقين، وتدعى كريج، إلى منظمة (شواذ سابقين سابقاً)، متبرئة من الفكرة القائلة: إنه يمكن شفاء الشذوذ الجنسي. وكتب مؤسسها جيريمي ماركس عام 2003، بأنه شاهد بأم عينه شواذ سابقين «أصبحوا يعانون حالة من الاكتئاب واليأس، وصل الأمر بهم إلى التفكير في الانتحار»، أما الذين وجدوا علاقات مخلصة مع شركائهم فكانوا سعداء.

وتؤكد ملاحظات ماركس ما توصلت إليه نقابة الأطباء النفسيين الأمريكيين، حيث ذكرت في بيان لها صدر عام 1998 أن «الأبحاث النفسية توضح بقوة أن محاولات العلاج التي ترمي إلى تغيير الميول الجنسية لدى الأفراد هي محاولات غير فاعلة. كما أن المخاطر التي تصاحبها هي مخاطر جسيمة، وتشمل الاكتئاب، والتوتر، فضلاً عن السلوك المؤذي للنفس».

ولا يستطيع اليمين أن يعترف بهذا؛ لأن اعترافهم بهذه الحقيقة سيقوض الفكرة القائلة: إن الشذوذ الجنسي خيار، وهي حجة تستخدم ضد حقوق الشواذ. وبدلاً من ذلك، يتصور الإنجيليون المحافظون أنفسهم بأنهم حملة رسالة روحية يحاول أعداؤهم طمسها. ويذكر الموقع الإلكتروني لمجموعة لوف وون أوت، وهي عنوان سلسلة من الندوات التي تنظمها منظمة التركيز على الأسرة في مختلف أرجاء البلاد: «تقوم منظمة التركيز على الأسرة ببث الحقيقة القائلة: إن الشذوذ الجنسي يمكن شفاؤه وعلاجه؛ وهي رسالة يتم طمسها باستمرار هذه الأيام».

obeikandl.com

وهذا النمط يتكرر باستمرار وعلى الدوام في الحروب الثقافية. وحين يشكك الخبراء ببعض المرتكزات الأصولية، فإنهم يستخدمون ذلك دليلاً على تحيز الخبراء ضدهم. وحين يثبت خطأ المحافظين المسيحيين، تزداد ثقتهم بعقيدتهم، ويزداد حقدهم على المؤامرة التي يرون أنها تحاك ضدهم.

♦

كنت في مدينة كولومبس مساء الجمعة في أثناء الحملة الانتخابية الرئاسية، وكان بوش في المدينة يرافقه آرنولد شوارتسنيغر في قاعة نيشنوايد، وسط حشد جماهيري من مناصريه. ويعد شوارتسنيغر -حاكم ولاية كاليفورنيا ذو العضلات المفتولة- ليبرالياً في القضايا الاجتماعية، إلا أن الجماهير خرجت من القاعة مشحونة بغضب هائج. وبينما كانت الجموع تنساب خارج القاعة، وقفت ليسا دوبلر، البالغة من العمر 33 عاماً - وهي من مدينة كولومبس - على مقربة من رهط جاؤوا للاحتجاج على وجود بوش في المدينة، رافعين لافتة مؤيدة لمنافسه جون كيري مخططة بألوان قوس قزح. ولم تلبث دوبلر - وهي فتاة قصيرة ممتلئة الجسم ذات شعر أسود قصير - أن جفلت إلى الخلف لدى سماعها المارين يقولون لها بازدراء: «سحاقية». ونظرت إليها امرأة عجوز، وقالت: «أنتم مقززون!» وأمسك فتى يقارب عمره عشر سنوات برسغه، وقال بصوت متقطع: «أوه، أنا سحاقية». وكانت أمه القصيرة البدينة تسير معه، وبدلاً من أن توبخه على ما قال راحت تقهقه، ثم نظرت إلى دوبلر وقالت لها بتهكم وازدراء: «لماذا لا تذهبين للزواج من صديقتك؟» ثم تشجع ابنها فصاح: «لا نريد لوطيين في البيت الأبيض!».

صرخ جو روبلز وعمره 26 عاماً: «يسوع! يسوع!»، مشيراً إلى لافتة بوش ـ تشيني التي كان يرفعها. وقال لي روبلز، وهو طالب في جامعة أوهايو ستيت: «إن الرجل يقف مع (الرب)»، واصفاً الرئيس بوش!!!: «إننا نريد شخصاً يقف ليسوع. إنني دائماً أصوِّت بحسب معيار الأخلاق المسيحية». وقال لي: إن ابنة كيري سحاقية. فقلت له: أعتقد أن ابنة تشيني هي السحاقية، وليست ابنة كيري، ولكنه هز رأسه بكل ثقة قائلاً: كلا.

وقال روبلز: إن كيري سيحظر على الوعاظ والقساوسة القول: إن الزواج يجب أن يكون بين رجل وامرأة فقط. وأضاف متحدثاً بنبرة المستشعر بالخطر: إن من يقول ذلك في كاليفورنيا يعد مرتكباً جريمة كراهية، وإن القساوسة الذين يفعلون ذلك يحكمون بغرامة قدرها 25 ألف دولار، وإن هذه الغرامات (تذهب إلى السحاقيات).

أين سمع دوبلر كل هذا؟ أجاب: من قتس كنيسة وورلد هارفست. من رود بارسلي.

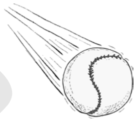

obeikandl.com